"عدن في كتابات الرحالة الألماني مالتزان"

مهندس/ أحمد عبدالله فضل

ملخص

سنة ١٨٧٠م كانت سنة مفصلية للمحتل البريطاني في عدن, حيث بدأت مرحلة السلام مع القبائل المحيطة بها وبدأ التوغل للرحالة المدنيين في المناطق حولها.

في شتاء ذلك العام زار الرحالة الألماني هينريتش فون مالتزان عدن وبقي فيها حتى ربيع ١٨٧١م, هناك ألتقي بجميع فئات المجتمع وعرف عن السكان ولهجاتهم وأعراقهم والحياة المدنية والعمران, وقارن ما قرأ من كتاب الهمداني "صفة جزيرة العرب" مع ما سمعه من السكان المحليين, وتنقل في المناطق القريبة حولها, ورقة العمل هذه تسلط الضوء على هذا الرحالة وما سجلة عن عدن وسكانها وعمرانها أثناء أقامته فيها.

كلمات مفتاحية: عدن, مالتزان, اليمن, جنوب الجزيرة العربية

المقدمة

تهدف هذه الورقة إلى إظهار أدبيات الرحالة الألمان ممثلين بكتابات الرحالة مالتزان عن عدن خاصة واليمن عامة, وأكثر هذه الكتابات لا تزال في طبعاتها الأولى باللغة الألمانية, وبخط أُلغي في الحرب العالمية الثانية[١], لايظهر الأن إلا في المتاحف الألمانية والكتابات القديمة. ينتفى عائق اللغة بوجود مواقع الترجمة مثل موقع قاموس كولينز[٢] وموقع مترجم جوجل[٣] حيث أصبح بالإمكان التعامل مع اي نص كُتِبْ بلغة وخط معاصرين في عصرنا هذا, عصر الإتصالات والمعلومات الفائقة السرعة, ويبقى التحدي في التعامل مع خط فراكتور القديم, لذلك كانت الطريقة لقراءتها؛ بفك بعض رموز الخط الغريبة التي لايقرأها الحاسب, يدوياً, ومن ثم ترجمته بإستخدام مواقع الترجمة, وهي عملية بطيئة, لكن المعلومات المستخلصة قيمة وشيقة, وكانت حافز للإستمرار, وكشف الصورة البانورامية التفصيلية التي وصفها مالتزان لعدن وسكانها وعاداتهم وتقاليدهم, بين عامي ١٨٧٠ و ١٨٧١م.

لم تكن الترجمة لإعادة إصدار الكتاب باللغة العربية, بل ترجمة شخصية لقراءة محتويات الكتاب, أسلوب كتابات الرحالة مالتزان كان سرد قصصي درامي لقصص حدثت له خلال رحلته وإقامته في عدن, وكان يصف كل ما رآه وسمع عنه, والكتاب اشار إلى عدة مقالات عن جنوب الجزيرة العربية

---

[١] في سنة ١٩٤١م منع هتلر أستخدام خط فراكتور لأنه أعتبر خط يهودي الأصل وغير مستخدم في جميع مناطق المانيا وكان عقبة إتصال مع المناطق الأوروبية المحتلة,واستخدم بدلاً عنه خط أنتيكا Antiqua الحديث, أنظر موقع Alpha History /https://alphahistory.com/pastpeculiar//١٩٤١-nazis-ban-jewish-fonts

[٢] https://www.collinsdictionary.com/translator موقع قاموس كولينز

[٣] https://translate.google.com/ موقع مترجم جوجل

للرحالة, وبنفس الطريقة تمت قراءتها, وهكذا جُمُعَتْ المعلومات, ونقلت في هذه الورقة. قُسمت ورقة العمل الى: مقدمة وست مباحث؛ تناول المبحث الاول نبذة عن الرحالة وكتاباته, وتناول المبحث الثاني الحياة في عدن والثالث وصف للمعالم التي شاهدها والرابع موجز لبحثه عن السكان والخامس عن التجارة في ميناء عدن, وأخيرا موجز عن العادات والتقاليد في عدن والمناطق حولها, بالاضافة لخاتمة لنتائج البحث ,وملحق جدول بعدد السكان,وخارطة توضيحية نشرها الرحالة في كتابه.

نبذة عن الرحالة وكتاباته

حياته: هو البارون هينريتش من عائلة مالتزان النبيلة في ألمانيا, أشتهر بلقب مالتزان[١], ولد في ٦ سبتمبر ١٨٢٦م, بالقرب من دريسدن في ألمانيا من أب ألماني وأم إنجليزية, كان والده ضابط كبير في جيش الفرسان البافاري, عاش مالتزان بداية طفولته في إنجلترا, ثم أنتقل الى ألمانيا بعد وفاة والدته سنة ١٨٣٦م, من ١٨٤٦ إلى ١٨٥٠ درس القانون واللغات الشرقية وعلم الإنسان "الإنثروبيولوجي" في ميونيخ وهايدلبرغ وإيرلانجن, بدأ حياته المهنية موظف إداري في مملكة ساكسونيا لفترة قصيرة, في سنة ١٨٥١م, قام برحلات قصيرة في أوروبا, وزار بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وإيطاليا.

توفي والده سنة ١٨٥٢م, وفي تلك الفترة عانى من مرض صدري غير معروف ونصحه الأطباء بزيارة البلدان الدافئة في الشتاء, أستخدم ميراثه من ثروة العائلة, لتوسيع نطاق رحلاته, وعاش حياة باحث ورحالة مستقل مادياً, وهذا ما ميزه عن بقية الرحّالة.

في سنة ١٨٥٢م زار الجزائر, وفي سنة ١٨٥٣م زار شمال المغرب وتونس وطرابلس، وفي شتاء ١٨٥٣ – ١٨٥٤م زار اليونان ومقدونيا وآسيا الصغرى ومصر, وعاد إلى أوروبا عبر سيناء وفلسطين وسوريا, وفي شتاء ١٨٥٦–١٨٥٧م سافر إلى مقاطعة قسطنطين والصحراء الجزائرية، وفي شتاء ١٨٥٧– ١٨٥٨م ذهب إلى جنوب المغرب. قضى أطول رحلاته متنقلا في الجزائر التي زارها عدة مرات, وأثناء إقامته في الجزائر، تحسنت معرفته باللغة العربية والإسلام وتعلم الصلاة والوضوء وحفظ أجزاء من القرآن الكريم عن ظهر قلب[٢], لذلك قرر السفر إلى مكة المكرمة دون أن يعتنق الإسلام, وكان قد خطط مسبقاً لهذه الرحلة منذ عام ١٨٥٣م, خلال رحلته الأولى إلى مصر, وذلك عندما ألتقى الملازم الشهير ريتشارد بيرتون[٣], الذي كان قد عاد للتو من رحلة الحج, فذهب إلى الحجاز وحج بيت الله الحرام في سنة

---

[١] von Friedrich Ratzel, "Maltzan, Heinrich von",Allgemeine Deutsche Biographie, herausgegeben von der Historischen Kommission bei der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, Band ٢٠،١٨٨٤, ص١٥٣-١٥٤

[٢] حفناوي بعلي ،صحراء الجزائر الكبرى:في الرحلات وظلال اللوحة وفي الكتابات الغربية,دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع,٢٠١٧, ص١٥٥

[٣] Sir Richard F. Burton, PERSONAL NARRATIVE OF A PILGRIMAGE TO AL-MADINAH AND MECCAH, LONDON: TYLSTON AND EDWARD, ١٨٩٣.

١٨٦٠م, مستخدما جواز سفر حج أشتراه من جزائري إسمه "سيدي عبدالرحمن بن محمد السكيكدي". بعد الحج, أكتشف أمره في مكة, فهرب من مكة عن طريق ضواحيها، حيث اشترى حماراً و أستأجر دليلاً ينقله الى جدة[١]. كانت في ميناء جدة سفينة انجليزية متجهة إلى بمباي، فحجز فيها, توقفت السفينة في عدن لفترة قصيرة, ثم ابحرت إلى جهتها, مكث شهر هناك ثم رجع إلى أوروبا, على الرغم من انه دَوّنْ تفاصيل هذه الرحلة في كتابه "حجتي إلى مكة" طبع عام ١٨٦٥م في ٧٥٠ صفحة, إلا ان هناك باحث من مواطنيه شكك بأنه ذهب أصلا إلى الحجاز[٢].

بين أعوام ١٨٦٠ و١٨٦٧م ، عاش بالتناوب في أوروبا والجزائر وعمل محرر في صحيفة ألمانية, ودرس الآثار الفينيقية والنقوش الخاصة بها, وفي سنة ١٨٦٨م زار جزيرة سردينيا وبقي فيها عدة شهور, ومنها عاد الى تونس وطرابس والجزائر. في سنة ١٨٧٠م, ذهب إلى مصر والساحل الشرقي الإفريقي وزار مَصَّوَع وعدن كباحث جغرافي ومستكشف أنثروبيولوجي, وأتخذ من عدن مقراً لتنقلاته في المناطق القريبة منها, بقي هناك طوال شتاء ١٨٧٠م وحتى نهاية ربيع عام ١٨٧١م, عاد بعدها إلى ألمانيا ونشر عدة مقالات عن جنوب الجزيرة العربية, وفي سنة ١٨٧٣م نشر كتابه الأخير عن رحلته في جنوب الجزيرة العربية.

في الأيام الأخيرة من حياته عانى من اضطراب عصبي شديد, ففي ٢٢ فبراير سنة ١٨٧٤م, انتحر في مدينة بيزا الإيطالية بطلقة في القلب.

مختارات من أعماله: سجل رحلاته وملاحظاته في عدة كتب ومقالات في مجلات متخصصة ألمانية, والتالي قائمة بأبرز كتبه:

- ثلاث سنوات في شمال غربي افريقيا[٣], رحلة في الجزائر والمغرب, أربعة مجلدات طبع عام ١٨٦٣م, ترجم للعربية.
- حجتي إلى مكة[٤], رحلة في المنطقة الساحلية وفي المناطق الداخلية من الحجاز, مجلدين طبع عام ١٨٦٥م, ترجم للعربية.
- صور من التقاليد التونسية والجزائرية طبع عام ١٨٦٩م [٥].

---

[١] Augustus Ralli,Christians at MECCA,London, William Heinemann,١٩٠٩ ص ١٩٩

[٢] Ulrike Freitag,Heinrich Freiherr von Maltzan's "My Pilgrimage to Mecca": A Critical Investigation,The Hajj and Europe in the Age of Empire,Umar Ryad (Editor),Leiden Studies in Islam and Society,Vol ٥،٢٠١٧,BRILL,ص١٤٢-١٥٤

[٣] هاينرش فون مالتزان, ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا, ترجمة أبو العيد دودو, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, ١٩٧٩

[٤] هاينريش فون مالتزان ,رحلة حجي إلى مكة – رحلة إلى المناطق الساحلية والداخلية لبلاد الحجاز, ترجمة ريهام نبيل سالم, دار الحكمة لندن, ٢٠١٨

[٥] Maltzan, Heinrich von,Sittenbilder aus Tunis und Algerien,Leipzig,Dyk, ١٨٦٩

- رحلة في جزيرة سردينيا, بالإضافة إلى ملحق: حول النقوش الفينيقية لسردينيا طبع عام ١٨٦٩م, ترجم للإيطالية.
- رحلة في رحاب تونس وطرابلس, ثلاثة مجلدات طبع عام ١٨٧٠م, ترجم للعربية [١].
- رحلة إلى جنوب الجزيرة العربية والبحوث الجغرافية في وحول الجزء الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية طبع عام ١٨٧٣م [٢].

وله قصائد شعرية كثيرة[٣], نشرها في دواوين, عبر في بعضها عن أزدرائه للإستعمار الفرنسي للجزائر.

كتاباته عن جنوب الجزيرة العربية: بداية السبعينات من القرن التاسع عشر حصل مالتزان على ماتبقى من مسودات ومذكرات مواطنه أدولف فون فريدي[٤]، الذي يعتبر أول أوروبي قام باستكشاف المناطق الداخلية من "حضرموت", نشرها مالتزان في كتاب سنة ١٨٧٠م, حفزه هذا للذهاب إلى جنوب الجزيرة العربية في شتاء عام ١٨٧٠ للقيام ببحوث إستكشافية من عدن وتكملة مابدأه فريدي, فالمنطقة كانت حتى ذلك الحين تعتبر إلى حد كبير, كما قال: "إقليم غير معروف", وكانت غايته الأخرى لغوية وهي دراسة لغة المهرة[٥], عندما عاد إلى ألمانيا نشر مقالات عن رحلته في مجلة ألمانية متخصصة[٦], ومن ثم جمع كل كتاباته ومسوداته عن الرحله في كتاب نشره سنة ١٨٧٣م.

القسم الأول من الكتاب يصور رحلة مالتزان البحرية إلى جنوب الجزيرة العربية، أبتداء من مصر وساحل البحر الأحمر إلى أن وصل عدن، ويقدم صورة أدبية مثيرة للإعجاب من مختلف شرائح السكان في المدن الكبرى التي مر بها مثل جدة ومَصَّوَع, اما عدن فكانت محطته الأخيرة في هذه الرحلة حيث خصص لها ثلاث فصول, بالإضافة للمقارنات بينها والمدن والمناطق الأخرى في بقية الفصول, وقدم لها صورة بانورامية تفصيلية رائعة, القسم الثاني كرس لدراسات مالتزان الجغرافية والإثنوغرافية، عن جميع مناطق القبائل والأقليات في عدن وحولها كلاً في فصل مستقل, يتخللها قصص وروايات درامية حصلت له خلال رحلته. استقر مالتزان في عدن طوال فترة إقامته في جنوب الجزيرة العربية, وقام برحلات قصيرة وسريعة حولها (أنظر الخارطة في الملحق), حيث أقصى نقطة وصل إليها غرباً كانت بير أحمد و عدن الصغرى, وشمالاً إلى الحوطة, وشرقاً إلى شُقْرَة, وبدأ بحثاً منهجياً عن بقية المناطق التي لم يزورها، فكان

---

[١] هاينريش فون مالتزان, في رحاب طرابلس وتونس, ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ٢٠٠٨

[٢] Maltzan,Heinrich von, Reise nach Südarabien und geographische Forschungen in und über den südwestlichen Theil Arabiens, Braunschweig, ١٨٧٣

[٣] حفناوي ،صحراء الجزائر الكبرى, ص ١٥٧

[٤] Wrede, Adolph von,Reise in Hadhramaut, Beled Beny 'Yssà und Beled el Hadschar,Hrsg. Heinrich Freiherr von Maltzan,Braunschweig,١٨٧٠

[٥] Maltzan,Südarabien ص ٨٩

[٦] مجلة Globus دورية جغراقية وطنية ألمانية كانت تصدر من مدينة براون شفايغ (Braunschweig) الألمانية.

يقابل يومياً عدداً معيناً من العرب من جميع المناطق الداخلية, منهم السلاطين والمشايخ والتجار والجمالين والبحارة والصيادين الذين كانوا يزورو عدن، وأيضاً زار بعض المساجين, وكان يسئلهم عن أسماء مختلف الأماكن الطوبوغرافية والأنساب والعادات والتقاليد, لقد جمع بهذه الطريقة أكثر من ١٠,٠٠٠ إسم للأودية والجبال والقري والمدن والقبائل والأدوات وغيرها, كما أشار, سجل أغلبها كما سمعها باللفظ العربي. لقد كان لديه شكوكه في دقة المعلومات التي حصل عليها, ولحسن الحظ, كما قال, أنه كانت لديه نسخة من كتاب الهمداني, صفة جزيرة العرب, كان قد حصل عليها من عدن, وكان يرجع إليها للتأكد من الأسماء.

نقد لكتاباته عن جنوب الجزيرة العربية: قال الرحالة بلجريف[1] أن الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية كان محل اهتمام كبير، لأنه كان بدا وكأنه مهد العرق العربي الأصيل, وأضاف حتى الوقت الحاضر (سنة ١٨٧٢م)، كان الشخص الأكثر استكشافا لتلك المنطقة هو نيبور الشهير، وعندما تم نشر المعلومات التي حصل عليها البارون فون مالتزان، ينبغي أن نكون سعداء للغاية لمعرفة مدى تطابق البيانات؛ ليس فقط مع البيانات المعطاة في الأعمال المعروفة، ولكن أيضا مع البيانات الجديدة والتي أضافها هو بنفسه. وعلى النقيض, انتقده المستشرق السويدي كارل لاندبرغ[2] بشدة في أكثر من مكان في كتابيه لهجة دثينة ودراسات في اللهجات العربية الجنوبية, ووصف بعض ملاحظاته بأن ليس لها معنى, وقال انه لايستحق ان يعطى أي اعتبار, فكتابه عن جنوب الجزيرة العربية فيه كثير من الأسماء المكَسْرة والبيانات الخاطئة. في حين يرى الدكتور هيلبريتش[3] أن كتابات مالتزان, التي جمعها في عدن من السكان الأصليين لشرق اليمن وحضرموت, أعطت معلومات كثيرة ومتنوعة، وهذه المعلومات اصبحت إلى حد كبير، إن لم تكن كلياً، قديمة في ضوء التحقيقات الأكثر شمولية من الكونت لاندبرغ في البلاد بين اليمن وحضرموت, ومع ذلك، كما أكد الدكتور هيلبريتش, فإن لمالتزان الفضل في أن لديه اهتماماً بجغرافيا وانثروبيولجي المناطق العربية في دوائر واسعة، وأنه أعطى الكثير من المعلومات الجديدة، وإن لم تكن دقيقة أحياناً، حول هذه الموضوعات, وقال أنه قد فتح آفاق جديدة من خلال رواياته عن دثينة ويافع وبيحان وغيرها، كشفت للعالم الغربي معلومات كانوا يروها من خلال زجاج معتم.

---

(1) Proceedings of the Royal Geographical Society VOL. XVI.Session ١٨٧١-٧٢.Mos. I. to V. ص ١٢٢

(2) LE COMTE DE LANDBERG, ÉTUDES SUR LES DIALECTES DE L'ARABIE MÉRIDIONALE,DEUXIÈME VOLUME.DATINAH,E. J. BRILL. – LEIDE,١٩٠٩ ص ٢٩٠

(3) Hilprecht, H. V.,Explorations in Bible lands during the ١٩th century,Philadelphia Holman, ١٩٠٣ ص٧١٠

الحياة في عدن

الإنطباع الأول: بدى للرحالة فور دخول السفينة ,التي أقلته إلى عدن, الى مدخل الميناء, حقيقة أن عدن كانت جزء من الهند الشرقية سياسياً, فقد صعد إليها قبطان الميناء ليوجه رسوها, وهو هندي يجيد الإنجليزية بطلاقة, ثم صعد هندي أخر من البانيان لشراء الفحم, ولم يشاهد أي عربي في الميناء, بخلاف ما توقع(١).

المناخ: كتب أن عدن لطيفة للغاية في الشتاء، ونادراً ما كانت تزيد درجة الحرارة عن ٢٠ درجة مئوية في الهواء الطلق، و ٢٢ في الغرفة, وكانت تهب الرياح من الشمال الشرقي من نوفمبر إلى نهاية أبريل، وينتشر السعال الديكي في تلك الفترة ونزلات البرد ليست شائعة, والموسم الأكثر صحة كان الصيف على الرغم من الحرارة المرتفعة للغاية, والإصابة بضربة الشمس التي قد تكون قاتلة أحياناً.

شبه جزيرة عدن: لاحظ أن عدن مقسمة إلى قسمين, غربي وشرقي, حيث أستهل وصفه لعدن بقوله أن الإنجليز أطلقوا إسم معسكر(٢) "Camp" علي المدينة, وقد برر الإسم بصغر مدينة عدن عندما أستولوا عليها حيث لم تكن تستوعب القوات, فنصبوا معسكرا وأطلقوا على الجزء الغربي "مرسى البواخر البخارية ", "Steamer Point" ، وكتب:"وعادة ما يطلق عليه "مرسى"(٣)", والمنطقة كلها عدن", وأضاف:"قد يسئل أحدهم: هل تعيش في الكامب أم في المرسى؟ لا أحد يقول ، "أنا أعيش في عدن", لأن هذه الإجابة غامضة جدا", أكد أن العرب يطلقوا على القسم الشرقي مدينة "عدن"، كما كان يطلق عليها منذ القدم, وكما هو صحيح, أشار أن عدن كانت تعتمد جزئياً على مياة البحر المقطرة والتي يتم إنتاجها بكميات كبيرة, وإن سعر المياه هنا كان أرخص من سعرها في مَصَّوَع وجدة(٤).

المعلا: ذكر أن الميناء ليس في "المرسى"، ولكن في المعلا حيث ترسو "السواعي", (قوارب السكان المحليين), ولم يذكر أكثر من ذلك.

المرسى: سكن فور وصوله عدن في فندق بالقرب من المرسى يديره رجل اعمال بارسي(٥), وبجوارة نُزل

---

(١) Maltzan,Südarabien ص ١٤٠

(٢) Maltzan,Südarabien ص١٤٢, المكان يشير إلى "كريتر", لكنه لم يذكر الإسم بهذا اللفظ في الكتاب مطلقاً, وكان دائما يشير إليه بـ"المدينة", لذلك أشير إليه في هذه الورقة بإسم "مدينة".

(٣) دائماً مايشير إليها بكلمة "point", وفي هذه الورقة ترجمتها إلى كلمة "مرسى" وهي الأقرب للمفهوم بدل من الترجمة الحرفية, كلمة "نقطة".

(٤) Maltzan,Südarabien ص ١٥٥

(٥) Maltzan,Südarabien ص ١٤٦, كتبت "Parsi" , أحد أفراد طائفة الفرس, أنظر ص ١٢, منزل الموت البارسي.

صغير يديره فرنسي, وكلاهما يمتهن التصوير الفوتوغرافي, وأكد انه سكن في المرسى لأنه لايوجد فنادق في المدينة[١], وأن المتجر الذي يملكه البارسي يحتوي على كل شيء, وقال أنه نادراً مايشاهد عربي في "المرسى"، وكتب:"ويمكن أن تتخيل نفسك في إنجلترا إذا لم تكن درجة الحرارة مرتفعة", ورصد الطريق من "المرسى" إلى "المدينة" وأشار إلى مرتفعاته وأنحداراته الحادة وطوله الذي حوالي ٦ أميال إنجليزية, وإن أجرة العربة من الميناء إلى المدينة كانت ٣ روبية, والرحلة كانت تستغرق حوالي ساعة, واضاف ان التجار الذين غالبا ما يعملون إلى وقت متأخر في الميناء، يضطرون بالتالي إلى امتلاك سكن هنا وسكن آخر في الكامب, حيث الجو هنا أكثر برودة والسكن في فندق البارسي ليس تجربة ممتعة.

عدن المدينة: ذكر ان المدينة مقسمة لقسمين غير متساويين بينهما ساحة رملية كبيرة, وهي سوق الماشية, القسم الغربي يعيش فيه العرب والهنود والسيبوي (sepoys)[٢], وفي الشرق توجد أفضل المتاجر والمنازل الراقية وهوقسم الفرس واليهود وبعض المسؤولين الإنجليز.

الحي المحلي: عندما أنتقل للمدينة استأجر طابق في بيت, ووصف المكان بأنه كان صاخب جداً, حيث التصميم الزاوي للشقق متداخل في بعضها البعض وفُصل فقط عن طريق الجدران الخشبية، وكان يسمع غناء الحفلات ولحديث حوالي ٥٠ من الجيران وزوجاتهم وأطفالهم[٣], كما قال, وأن هذه الضوضاء جعلت حديثه مع العرب الزوار أمراً صعباً للغاية, لذلك أنتقل وأستأجر بيت كامل من طابقين في المنطقة المحلية, وأشار إن ماكان يضايقه في المنطقة المحلية هو الأدخنة في النهار، وخاصة التي تسببها مداخن الـ "الكانون"[٤] (المواقد المتنقلة) الموجودة في فناء صغير في كل بيت, على الرغم من أنه كان لديه فناء صغير مفتوح، إلا أنه لم يكن ليتمكن من الهروب من الدخان المنبعث الذي يأتي من مائة موقد من منازل السكان المحليين, كما وصف, وكان لايستطيع ان يستخدم السطح, لأن أَفْنِيَة بيوت السكان المحليين مكشوفة وقد تظهر المحارم, وقد حاول مرة وصعد للسطح ووصف عاقبة هذا انه كاد ان يتسبب في "ثورة", حيث هرع إليه السكان من كل بيت يتهموه بالتبصص على حريمهم, وهذه جريمة فظيعة,

---

(١) F.M.HUNTER,AN ACCOUNT OF THE BRITISH SETTLEMENT OF ADEN IN ARABIA,١٨٧٧ ص٩, أشار ان هناك فندقين في المرسى سنة ١٨٧٧م.

(٢) Collins English Dictionary [١٢th Edition], ٢٠١٤ , جندي هندي في خدمة البريطانيين

(٣) Maltzan,Südarabien ص ١٤٧

(٤) Maltzan,Südarabien ص ١٤٨, "Kanun" كتبها حسب اللفظ المحلي كما سمعها, ووصفها بـ"المواقد المتنقلة" "tragbaren Kochherden", أنظر ايضاً: Le Conte de LANDBERG,GLOSSAIRE DATINOIS, PREMIER (أ - ذ), LIBRAIRIE ET IMPRIMERIE,CI-DEVANT,E. J. BRILL - Leide,١٩٢٠ ص ٨٣, كتب لاندبيرغ "موقد الكانون يسمّون الموقِد اليّ يشتلّ من مكان لَمكان, on appelle Kanun le foyer qui se laisse transporter d'un endroit a l'autre, car le est fixe", أنظر أيضاً: موقع أطلس المأثورات الشعبية المصرية, ٢٠١٨/٢/٩, http://www.gocp.gov.eg/Atlas/atlas٠١/١٠.html
الكانون: وهو عبارة عن حجرين متوازيين يعلوهما قرص من الصاج أو الحجر ويشعل تحتها لإنضاج الخبز.

وهذا هو العُرفْ في جميع المدن العربية كما قال, ولمح: "وبما أنه لا يوجد أوروبيون آخرون يعيشون هنا في الحي العربي ، فقد حافظت على ذلك", واضاف أن كل ما بقي له هو الشرفة في الطابق الأول، الذي كانت محاطة بالجدران، ومفتوحة فقط في الأعلى, وكان يتعرض للبعوض في النهار, وأشتكى من العقارب حيث كان يقتل عقرباً كل يوم. أما في الليل يكون الجيران قد ناموا ويختفي الدخان المنبعث ويأتي الهواء من الشرفة، وتكون درجة الحرارة لطيفة للغاية، حوالي ٢٠ درجة, وكان لديه شبكة ناموسية يستخدمها لكي ينام, وكتب:"جميع العلاجات المقترحة الأخرى لا تساعد في طرد الباعوض". وكان يرى أن إيجار البيت رخيص, حيث كانت تُكلفه ١٠ روبية في الشهر, وكان معه خادم نوبي وكان يكلفة وطعامه بالكاد ٢٠ قرش كل يوم, ومع ذلك قال:"عِشتُ جيدا".

ذكر أن أدوات المطبخ والبقالة متوفرة في سوق عدن، مقارنة ببعض البلدان الفقيرة في أوروبا وجدة وسواكن ومصوع, وأن عدن هو المكان الوحيد في الجزيرة العربية حيث كان يمكن العثور على البطاطا وبعض الخضار (الملفوف واللفت والباميا) والفواكه, وقارن: أنه في جدة كان هناك الموز فقط, وأن تكلفة الدجاج في عدن ٨ قروش فضة (في مصوع فقط ٤), الزبدة الأصلية (السمن) تقريبا لا يأكلها الأوروبيين, ولطهو لحم الخروف كان يُستخدم شحم الخروف، ولكن كما كتب:"لتجعل هذا سائل يحتاج طِباخة خاصة", ذكر أن لحم الخروف جيد ورخيص، ولكنه شديد الدهون, أما لحم الثور غير متاح دائما لأنه غالي، وهو جيد, وأن حلوى التمر المضغوط جيدة وهي مفيدة للبطن[١].

الكامب: قال إن الإنجليز في عدن، إلى جانب رجال الدين، والموظفين المدنيين كلهم من العسكريين, وبعضهم غير متزوجين، وكل منهم يشغل منزلاً خاصاً به، مع ترتيبات كاملة ومعقدة في كثير من الأحيان, وأن الجميع لديه مدبر منزلي، وخدم، وطباخ تماماً كما في الهند, وسمع أن تكلفة معيشة الضابط الإنجليزي حوالي ٣,٠٠٠ جنيه أسترليني سنوياً, كتب منتقداً تكاليف معيشة الضباط حيث قال أنه في كل عام كان يأتي ضباط إنجليز ولكل منهم منزله الخاص المؤثث بشكل جيد، الذي يحتوي على الطعام والشراب الممتاز، ويقيم فيه حفلات العشاء، ويدفع ويغذي حوالي ثمانية أو عشرة من الخدم، ولديه ثلاثة أو أربعة خيول في الأسطبل، وأبقار لإنتاج الحليب, مع تكاليف الملابس، والفرش، والكتب، وكذلك أسلحة الصيد التي تأتي من إنجلترا, أكد أن هذه الأشياء كانت مُكلفة, وقال أنه بتدبير جيد، في عدن، كان يمكن أن تحصل على نفس الترف بثلثي، أو حتى نصف التكلفة, وأضاف ان الضباط الإنجليز كانوا لا يحْسِبُونْ, وكانوا يقولون "عش ودع غيرك يعيش"، وبالمقارنة أكد انه في إنجلترا، كان يمكن أن تحصل على نفس وسائل الراحة بما لا يقل عن ٢,٠٠٠ جنيه استرليني. أستطاع الوصول إلى المجتمع الرسمي الإنجليزي في حفلات العشاء وتمكن من إثبات الفخامة التي كان يتمتع بها أعلى ضابط إنجليزي, وهو

[١] Maltzan,Südarabien ص ١٤٨

الوكيل السياسي (هذا اللقب يرأسه الحاكم), وصف جميع الأطباق في بيت الحاكم بأنها كانت ذات نوعية ممتازة، وهي غير متوفرة هنا, وأن مساعده لم يكن أقل منه في الترف، الذي وصفه بالقبطان البسيط، وكان لديه راتباً عالياً كمدني مؤقت. كتب أن معظم الإنجليز يبنون منازل كبيرة على ساحات واسعة وغالبا على التلال, بالإضافة إلى النوادي، وكان لديهم موردين في إنجلترا، الذين يستوردون كل شيء مباشرة إليهم, وهذا يؤثر سلباً على تجارة التجزئة في عدن، لأنه كما كتب: "هؤلاء السادة لا يحتاجون إلى أي شيء يشترونه من هنا". ذكر فتيان بنكا[١] (وهي مروحة كبيرة معلقة) الموجودين في جميع البيوت الإنجليزية وهم كانوا في الغالب صوماليين او هنود شرقيين صغار السن, الذين كانوا يقومون بتحريك مراوح البنكا في غرف النوم والطعام, وقال عنهم:" أنهم يتشبثون بهذه الخدمة، التي تغريهم، يؤسفهم فقط أن معظم الإنجليز لا يسمحون لهم بالغناء"[٢], وأشار أنه عادة ما كان يتم وضعهم على كرسي عال بسطح ضيق وبدون سند، بحيث كان لا يمكن أن يغفون دون السقوط, وكانوا يقومون بتحريك المراوح طوال الليل. كتب أن الأثاث الأوروبي لا يتحمل حرارة الجو, ويتدمر بسرعة في المناخ المحلي, وأن الأثاث في بيوت الإنجليز كان يُجلبْ من الهند في كثير من الأحيان، ولم يكن قطع مُجَمّعَه، وكان في الغالب قطعة واحدة. كتب متعجباً:"رأيت طاولات طعام ضخمة، بلاطة وأرجلاً في قطعة واحدة!", وأشار إلى تكلفة هذا الأثاث الباهظة الثمن، ولمح بأن هذا الأثاث كان من الأجيال الماضية حيث كان كل مسؤول إنجليزي يُنقلْ هنا يشتري أثاث من الهند, لأنه نادرا ما كان يبقى طويلا، فيبيعه لخَلَفه وعادة ما يكاد يكون دون خسارة, وكتب في وصف الخشب:"الخشب جميل جدا وذو جودة عالية، بني داكن أو أسود ، مع لمعان طبيعي"[٣]. وصف منزل تاجر فرنسي أستضافه هو السيد "تيان" ، وكتب بأنه كان كبيراً جداً يحتوي على غرف فيها فتحات واسعة للتهوية، ومحاطاً بشبك على الشرفات, وكان في جدران هذه الشرفات تجاويف كثيرة مغطاة بالقصب والتي تسمح بدخول الهواء، وتمنع ضؤ الشمس, وكتب:"بدون هذه الشرفات العميقة، لن تتمكن من العيش هنا، بسبب الحرارة وبسبب البعوض".

معالم عدن

كان يصف ما رآه في عدن وهو يسرد قصص مطولة حدثت له فيها, لذلك استخلص منها الوصف للأماكن مرتبه حسب ذكرها:

(١) Maltzan,Südarabien ص ١٥٠, كتب:" أي أولئك الذين يحافظون على تحريك المروحة"

(٢) Maltzan,Südarabien ص ١٥١

(٣) Maltzan,Südarabien ص١٤٧

الكنيسة الإنجليزية[(١)]: وصف المبنى بأنه جديد وجميل وعلى الطراز القوطي الذي أصبح حديثا في إنجلترا كما أشار، ويقع على جبل وأشار إلى التعرض لحرارة الجو حتى الوصول إليه, وكتب انه يتم تبريد المكان من قِبل كثير من فتيان البنكا، وهم صبية من الهنود الشرقيين المسيحيين يحركون مراوح يدوية عليها صلبان كثيرة.

الصهاريج: رأى أنها أكثر الأماكن إثارة للإهتمام في عدن, وأهتم بها الإنجليز لأن المياة التي تجلب من الشيخ عثمان غير صالحة للشرب ولا تصلح إلا للغسيل [(٢)], والمطر لا يهطل بإنتظام في أشهر الشتاء, وقد تمر ثلاث او اربع سنوات تقريبا دون هطول أمطار, وبرر الحاجة لخزانات مياة كبيرة لإمتصاص وحفظ المياة لسنوات الجفاف, حيث اشار لترميم الصهاريج التي تم اكتشافها والتي تقع في وادٍ جنوب غربي المدينة عند سفح جبل شمسان، وأن الوادي نفسه يشكل الصهاريج, حيث أرضيته وجدرانه كلها متكونة من صخور صلبة، والتي تحتاج فقط إلى تغطية بالجص للحفاظ على المياه بعد بناء الأقفال, وعن الأقفال قال: "وهي نفسها القديمة", ووصف توزيع وتخزين المياة بالتفصيل من الصهريج الأعلى إلى الأسفل حتى فيضانه للبحر, وسجل السعة التخزينية للعشرة صهاريج التي تم ترميمها حتى سنة ١٨٧١م بـ ٨,٨٨٤,٨٩٢ غالون, وقال إن المياة كانت قد فاضت منها أربع مرات فقط خلال الـ٥٠ سنة الماضية. وصف الحديقة التي زرعها الإنجليز عند الصهاريج وقال ان بها عدة نباتات نادرة مثل أشجار البخور التي لا تزرع إلا في الصومال والمهرة, وذكر نبتتين بالإسم:"باسويليا كارتيري و باسويليا باهو داجانا"[(٣)] (Boswellia Carterii ,Boswellia Bhau Dajana) التي تعطي رائحة عطرة فواحة, وقال انها المنطقة الوحيدة المزروعة في عدن, وأن الحاكم كان يقيم أحتفالات ليلية في الصهاريج، حيث تمنحها الأضواء الساطعة والحديقة بصيص سحري.

التحصينات: ذكر انه سمع من ضباط إنجليز ان التحصينات كانت غير كافية لصد الهجمات البحرية, وان هناك اعمال تجري للإهتمام بذلك, واضاف أن عدن محصنة بحريا وبريا ضد هجمات العرب المحليين, اما التحصينات البرية فهي رائعة, حيث جميع الجبال مزودة بأسوار وبوابات وبطاريات مدفعية, وصف مالتزان قلعة "البرزخ", حيث قال أن العرب يطلقوا عليها "جبل حديد"[(٤)], وهي فوهة بركانية محاطة بصخور من ثلاث جوانب والجانب الرابع يكون سهل مفتوح عندما يتراجع البحر, ومحصنة بثلاث صفوف من الخنادق والأسوار وبطاريات مدفعية, وفي المساء عندما تغلق الأنفاق, تكون عدن جزيرة

[(١)] Maltzan,Südarabien ص ١٥١

[(٢)] Hunter,Aden ص ١١ أيضا اشار لهذ.

[(٣)] أنظر تعريف هذه النباتات في: Ethelbert Blatter,Flora of Aden. Records of the Botanical Survey of India,Volume VII,Number ١,calcutta,١٩١٥ ص١٥٣,

[(٤)] Maltzan,Südarabien ص ١٥٦ , هكذا كتب الإسم: "Gebel Hadid ".

مغلقة من الصعب الوصول إليها, وذكر تحويلة في الطريق من الميناء إلى المدينة وهي جديرة بالاهتمام من خلال الأنفاق الطويلة والبرزخ, ويعتبر هذا الطريق حاداً ويسير فوق تلة لا تكسرها سوى "بوابة صخرية"[١] في منتصف الطريق ، وإنها تغلق في الليل, وقال "لا يمكن الذهاب إلى المدينة بعد غروب الشمس بدون إذن خاص من الحاكم",

جزيرة صيرة: ذكر ان في الجزيرة قلعة عربية قديمة, ويربطها جسر بالبر الرئيسي وتقع على الجانب الجنوبي الغربي من المدينة, وأنه في زمن فريدي[٢] (سنة ١٨٤٣م) كان فيها مرسى لأنه ابحر منها, والأن لاترسوا السفن على الجانب الغربي, وذكر ان العرب يعتقدوا ان قبر قابيل فيها ويرتبط ذلك بالأسطورة التي تقول ان عدن هي "جنة عدن"[٣].

سوق الماشية الكبير: وصفه بأنه ساحة واسعة رملية تشبه إلى حد كبير قاع مجرى وادي جاف يقسم المدينة إلى نصفين غير متساويين, وفيه تعرض القوافل بضائعها, وقد راى فيها العرب الجنوبيين السُمر يمتطون الجمال بالقرب من الرقبة بدلاً من خلف السنام بتوازن ورشاقة ويقفون في صفوف طويلة, ووصف المنظر بأنه رائع ويستحق التأمل والرسم, لرشاقة الفرسان و الجمال, وإن المكان مليء بالحياة والنشاط, وصف الأغنام الصومالية البيضاء السمينة الجميلة ذات رؤوس سوداء وليس لديها أي بقعة على الجسم, والمواشي العربية المختلفة المظهر، والثيران الشبيهة بالجاموس، وقال انه أحيانا يرى غزال، وجِمالْ السباق الجميلة، والجمال العادية لجر العربات, وأكد أن الخيول نادرة, حيث قال:"جنوب الجزيرة العربية ليست بلد خيول"[٤].

المنارة: كتب: "على قطعة شاغرة في الشرق تقف منارة ضخمة، وهي آخر بقايا عرب عدن القدماء, خلاف ذلك، لا يوجد شيء هنا يذكر, الأثار التركية التي وصفها الجغرافي ريتر[٥] لم تعد مرئية".

---

[١] يقصد العقبة – باب البر

[٢] Wrede, Hadhramaut ص ٤٤

[٣] Maltzan,Südarabien ص ١٥٦

[٤] Maltzan,Südarabien ص ١٥٦

[٥] الموسوعة البريطانية, Carl Ritter, كارل ريتر (١٧٧٩ – ١٨٥٩م), جغرافي ألماني يعتبر أحد مؤسسي علم الجغرافيا الحديثة, أيضا أنظر : ALEXANDER VON HUMBOLDT UND CARL RITTER,VON LEOPOLD VON ORLICH,REISE IN OSTINDIEN, IN BRIEFEN AN, LEIPZIG,VERLAG VON MAYER UND WIGAND, ١٨٤٥ في ص ٢٧٥ كتب ريتر "أستولى الإنجليز على هذا المكان قبل خمس سنوات ", وأضاف "الثكنات الجديدة تلتقي بالمباني و بالعديد من الآثار القديمة، مما يوحي بأن المكان كان أكثر أهمية في الماضي. في الوقت الحاضر لا تزال توجد آثار البرج التركي وبعض الأسوار وبعض الأبراج الصغيرة على قمم الجبال"

مسجد العيدروس[١]: وصف المساجد بأنها صغيرة وبعضها جديد وبعضها تم ترميمه مؤخراَ, واستطاع الوصول إلى مسجد العيدروس بسهولة ووصفه بأنه مسجد صغير وجميل وذو طراز شرقي وهو مجدد حديثاً, حيث كتب: "رممه مؤخراً احد المتدينين من الهنود الشرقيين المسلمين", وذكر ان الوصي على المسجد, وكان من سلالة العيدروس التي تعيش هنا, متسامحاً للغاية, حيث أعطاه علبة من رماد البخور الذي يحرق لتبخير المكان كهدية.

منزل الموت البارسي: كان في عدن طائفة فارسية تعرف بإسم "الزرادشتيون"[٢], وتشتهر بإسم "الفرس", وهي لا تدفن جثث موتاها، بل تضعها في مكان مفتوح لتفسد في الهواء الطلق وتتغذى عليها الطيور الجارحة, ولأسباب صحية، بطبيعة الحال، يجب أن يكون هذا المكان بعيدا بشكل معقول عن المناطق المأهولة بالسكان, بدا لمالتزان المكان قليلاً قريب من المدينة, وقال ان الإنجليز يسمُّونه "برج الصمت" وهو يقع على قمة تل صخري بركاني بالقرب من الصهاريج ويمكن الوصول إليها في غضون ٢٠ دقيقة من عدن, واضاف إن هذا القرب لم يكن يبدو ضاراً، وذلك قد يُعزى جزئياً إلى هبوب الرياح المستمر التي نادراً ما تمنع وصول الضرر إلى المدينة، وبشكل جزئي إلى صِغَرْ المجتمع المحلي للطائفة البارسية, وانه كان من الصعب الوصول للمكان والزيارة لا تُسْمَحْ إلا للموظفين الرسميين, وقد وصف له المكان الكابتن مايلز[٣]، الذي كان لديه تصريح بالزيارة، وقال له أن المبنى دائري، مفتوح في الأعلى وفي الوسط حفرة عميقة، يتم فيها إلقاء العظام بعد تحلل الجثث, حول هذه الحفرة توجد ثلاث اسوار على شكل حلقات، يتم وضع جثث الأطفال في الحلقة الداخلية، والوسطى لجثث النساء، والخارجية لجثث الرجال، وتنجذب إليها الطيور الجارحة في المنطقة كلها, والنتيجة ليست جيدة على الإطلاق, حيث أن جميع الصخور حول منزل الموت ملطخة بالفضلات البيضاء من هذه الطيور, التي تتراكم لأن المطر نادر, و أنه قد قيل له (أي مايلز) أنه قبل حوالي عشر سنوات حاول مزارع إنجليزي في استغلال هذه الفضلات "النبيلة" ، بحيث تتحول إلى سماد فريد, لكن الطائفة أستخدمت كل شيء، حتى المال،

---

(١) Maltzan,Südarabien ص ١٥٧

(٢) عالم المعرفة, المعتقدات الدينية لدى الشعوب,١٧٣, ذو القعدة ١٤١٣هـ, ص ١١٦

(٣) صامويل باريت مايلز(١٨٣٩-١٩١٤م) كان مساعد الحاكم في عدن من ١٨٦٦ الى مارس ١٨٦٩م, رجع إلى عدن كرحالة سنة ١٨٧٠م لإستكشاف المناطق الداخلية حول عدن, في سنة ١٨٧٢م عين مقيم سياسي في مسقط. أنظر, S .B .Miles, Account of an Excursion into the Interior of Southern Arabia,Proceedings of the Royal Geographical Society of London, Vol. ١٥, No. ٥ (١٨٧٠ - ١٨٧١), ص ٣١٩-٣٢٨

لمنعه[١].

المعابد الأخرى: كتب أن الهنود البانيان لديهم قاعة يستخدموها كمعبد لهم, يوجد فيها تماثيل لشخصيات إلآهية خاصة بهم, والمعبد كان بسيط للغاية لكنه يبدوا رائع في الأمسيات الإحتفالية مع الإضاءة الليلية, وكان بجواره مبنيين صغيرين لصلوات اليهود, وأضاف أن الكنيسة الكاثولوكية موجودة هنا, ويخدمها رهبان تبشيريين إيطاليين, والمبنى كبير حيث المجتمع الكاثوليكي هنا كبير مع الهنود الشرقيين المسيحيين المهجنين بين البرتغاليين والهنود, وهي ايضا مدرسة داخلية تبشيرية[٢].

سكان عدن[٣]

أشار إلى أن عدن كانت تعاني من عدم وجود مياه كافية، ولا ينموا شيء مفيد فيها, وأن الإنجليز حاولوا تقليل عدد المهاجرين إليها، وسياستهم كانت ان تبقى عدن صغيرة, ودلل على ذلك بالقول:"سيكون عدد السكان الكبير محرجاً في حالة الحصار, حيث تعتمد عدن على المناطق المجاورة لجميع احتياجاتها"[٤], وأكد أن نفس هذه الظروف هي التي عرقلت الحد من الهجرة, حيث من الصعب منع العرب وهم المزودون الرئيسيون للسوق أو الصوماليون المتاجرون في الماشية او التجار الهنود الذين يساهمون في غذاء وتزويد أبناء وطنهم ماهو ضروري لهم, وأضاف أنه لن يقوم أي شخص من هذه الشعوب بإختيار عدن على المدى الطويل لغرض رحلة عمل، إذا لم تكن هناك جالية صغيرة من أبناء وطنه فيها, لذلك سياسة الحد من الهجرة غير قابلة للتنفيذ إذا أردت المحافظة على مدينة صغيرة ذات احتياجات كبيرة، حيث يستهلك شخص إنجليزي واحد ما يزيد عن عشرين سلعة, لذلك كان توسيع المدينة مشروطًا منذ البداية.

الأعراق: يرى مالتيزان أن ذلك قد ساعد في تعدد الاجناس بالمدينة وبذلك اصبحت مدينة ملائمة لدراسة التعدد الاثني والعرقي, واشار الى هذا التعدد العرقي وحدد مناطق قدومة الى عدن بالساحل الشرقي لافريقيا وغرب الهند وأثيوبيا, والصومال, وقد دلل على التنوع الأنثروبيولوجي من خلال الملامح البيلوجية بأشكال تلك الاعراق والاجناس فوصف الشفاه والجبين والأنف والذقن وحجم الصدر والطول واللون وعن أسلافهم ومع من تزاوجوا في السابق, والتالي مختصر لما كتبه عنهم:

---

(١) Maltzan,Südarabien ص ١٥٨

(٢) Maltzan,Südarabien ص ١٥٨

(٣) Maltzan,Südarabien , ملخص من الفصل التاسع عشر, سكان عدن, ص ١٦٠ – ١٧٢

(٤) Maltzan,Südarabien ص ١٦٠

الهنود المسيحيين: وهم هجين من البرتغاليين والهنود, ويغلب الدم الهندي, وبشرتهم تميل للسمار الشديد, ويتصرفون ويلبسون مثل الأوروبيين, ويعملوا كبار الخدم عند الإنجليز وينظموا للخدمة العسكرية كسيبوي, وبعضهم أتى للتجارة, وأغلبهم شباب وقله من العوائل[١].

الهنود المسلمين: وهم هنود أصليين, أتوا للجزيرة العربية بسبب دينهم, ومنهم كبار السن الذين لم يجدوا قط فرصة في الهند، حيث كانوا يعيشون بين الوثنيين، أتوا لدراسة دينهم, ويتعلموا القرآن حتى في سن الشيخوخة, موقفهم الاجتماعي عادة ما يكون أكثر من متواضع, و هم الخدم العاديون في المنازل الإنجليزية, و تتألف قوة السيبوي من نصفهم تقريبا, والآخرون هم صغار التجار والحرفيين والخياطين والجزارين وعمال النظافة[٢].

عرب عدن الأصليين: العرب من سكان عدن الاصليين هم من السكان عندما أستولت انجلترا عليها, حيث كان عدد السكان ٦٠٠ نسمة نصفهم من اليهود, تحتل عائلة العيدروس المقام الأول، والبعض الآخر مسؤولون في المساجد، ومنهم الكتبة، والتجار الصغار والكبار.

عرب من لحج: ومعظمهم من سهل محيدان وأماكن أخرى من سلطنة لحج, أكثرهم من التجار الصغار، والحرفيين، وبعض الدراجين غير النظاميين في الخدمة المدنية أو الخدمة المسلحة للحكومة.

عرب من حضرموت: الحضارم لديهم أعمال تجارية صغيرة.

عرب من الحجرية: كانوا قدموا قبل فترة قريبة من زيارة مالتزان, وهم عمال بالأجر اليومي ومرافقين للشخصيات.

عرب من رداع ويريم وذمار: كل الناقلين للمياه كانوا منهم, وأكثر (الشيالين)[٣].

عرب من زبيد والحديدة: هؤلاء من الطبقة المتوسطة وأكثرهم الكتبة, ومنهم قاضي السكان المحليين في عدن, وهو يحكم في قضايا مسلمي عدن البالغ عددهم ١٨,٠٠٠ نسمة ، وأيضاً على قضايا الحالات الصغيرة بين أشخاص من ديانات مختلفة.

عرب القبائل[٤]: (القبائل الحرة) وهم قبائل الداخل, لا يهاجروا إلى عدن ويحتقروا كل شيء برجوازي, وقد هاجر بعض الرعية[٥] المسالمين منهم, من سكان المراكز التجارية في الداخل وخصوصاً من البيضاء ورداع, ويعملوا في تجارة التجزئة للبضائع المحلية مثل التمر والتنباك والقشر.

الصوماليين: في الصيف يقدر عددهم حوالي ٥,٦٠٠ نسمة, وفي الشتاء قد يصل العدد إلى أكثر من

---

(١) Maltzan,Südarabien ص ١٦١

(٢) Maltzan,Südarabien ص ١٦١

(٣) Maltzan,Südarabien ص ١٦٢, كتبت هكذا Shayyalin

(٤) Maltzan,Südarabien ص ١٦٣, كتبت هكذا Qobäyel

(٥) Maltzan,Südarabien ص ١٦٣, كتبت هكذا Raye

١٠,٠٠٠ نسمة, لأن في الصيف الرياح الموسمية الجنوبية الغربية تجعل الإبحار من الموانيء الصومالية صعب, ويعملوا في بيع المواشي الصومالية وبعضهم في القوارب وصيادين وآخرين يعملوا في أعمال معظمها خفيفة مؤقتة, والشرطة المحلية توظف جزء بسيط منهم, ورئيس الشرطة المحلية صومالي.

هنود البانيان: ويشكل هؤلاء أفراد الطبقة التجارية الهندية الجزء الأكثر أهمية من سكان عدن, حيث جميع منافذ بيع الجملة، وجميع البنوك ومعاملات الصرافة في أيديهم, كما في كل مكان حيث يعيش البانيان، وذكر مصوع على سبيل المثال, لقد أصبحوا ملاك الأراضي هنا أيضاً, حيث غالبية منازل عدن هي ممتلكاتهم.

الزنوج: أكد انه لايوجد عبيد في عدن, وهم القسم الأكبر تحت إسم "أخرين غير محددين" في الجدول الملحق, وهم العبيد المحررين من قبل السفن البريطانية, يؤتى بهم هنا لنقلهم لأوطانهم, ومعظمهم لا يريدون العودة، لأنه قد يقبض عليهم تجار العبيد في الطريق من الساحل, لذا على الحكومة أن تصرف عليهم, ويقدموا خدمات مجانية لجميع الأوروبيين, لكن لا أحد يريدهم, الزنجي الذي يأتي حديثاً من إفريقيا كان عديم الفائدة تماماً, حيث يجب أن يتم تدريبه أولاً وأن الأوروبيين لم يصبروا عليهم، خصوصاً كعمال جدد, وكان أكثرهم مشردين.

البارسيين: بإستثناء طريقتهم المشؤومة في الدفن, والتي قد تجلب الأمراض للبلد, إلا انهم الأكثر عقلانية من جميع الشرقيين, ويعملون في التجارة ومظهرهم أنيق.

مسلمين آخرين في عدن: يقدر عددهم بـ ١٠٠ نسمة, وهم من الأفغان والفرس وبعض الأتراك ومنهم المليونير "حسن علي".

اليهود: اليهود هنا كانوا يعتمدون على العمل اليدوي, وكانوا أذكياء جدا ، خصوصا في صنع الأسلحة والمعدات العسكرية للعرب ، وفي بعض الأحيان يعرفون كيف يفعلون الأشياء بطريقة أنيقة جدا.

التجارة

من كتابات الرحالة يمكن استخلاص بعض من حجم التجارة بين عدن والمونيء في البحر لأحمر بالإضافة للمناطق في جنوب الجزيرة العربية التي ذكرها, وأشار أثناء حديثه عن مصوع إلى حجم الصادرات والواردات بين عدن ومصوع, حيث كان قد حصل على تقارير التصدير والإستيراد للنصف الأول من سنة ١٨٦٤م, وكانت الواردات من عدن؛ الأرز, التمور, التنباك, السكر, خشب الصندل, زيت القرنفل, وبعض المصنوعات الهندية بقيمة إجمالية ٦ مليون فرنك فرنسي, والصادرات إلى عدن كانت؛ العاج, واللؤلؤ, وتراب الذهب, بقيمة إجمالية ٤٥٠ ألف فرنك فرنسي, وطبعاً الصادرات ذهبت للهند[١], كما أشار, وصلت ٢١ ساعية (سفن شراعية ذات حمولة من ٢٠ إلى ١٠٠ طن) من عدن

---

[١] Maltzan,Südarabien ص ١١٦

خلال نفس الفترة, وأثناء حديثه عن جدة شرح أسباب المنافسة الشديدة على تصدير البن من جزيرة العرب بين مينائي عدن وجدة[١], وذلك بسبب تدهور مينائي الحديدة والمخا.
بالنسبة للمناطق الدخلية, القطن الخام يجلب إلى عدن من مناطق إنتاجه, في أبين ويافع وبعضه ينسج فيها والباقي يصدر[٢], الملح الصخري يأتي من أرض قبائل آل خليفة من المحاجر[٣], الخضار والفواكة وأعلاف الماشية والخشب كانت تأتي من لحج[٤], البن ,ويعتبر المنتج الرئيسي, كان يأتي من يافع والضالع ومناطق زراعته في الجبال, والمشغولات اليدوية كانت تأتي من عدة مناطق.

عادات وتقاليد العرب في عدن والمناطق الداخلية

القسم الأكبر من كتاباته وهدف رحلته الرئيسي كان لمعرفة المناطق التي لم يزورها فريدي, لذلك كتب وصفا تفصيلياً يشمل تضاريس المناطق وانساب وتعداد القبائل, والعادات والتقاليد والزي, والقرى والمدن التجارية والمنتجات الزراعية, وبحثه شمل منطقة واسعة بدأت من بلاد الواحدي شرقاً إلى بلاد الصبيحة غرباً, وشمالاً من لحج إلى صنعاء ومأرب وقبائل حاشد وبكيل, وهو بحث مطول سجل بعضه في زياراته القصيرة للمناطق حول عدن , والباقي سجلها في عدن عن طريق بحثه الممنهج. التالي وصف عام للسكان وزيهم وبيوتهم وعاداتهم ولهجاتهم:

بحثه الإنثروبيولوجي للسكان: كمثال لما فصله عن سكان المنطقة أسرد جزء بسيط مما كتبه عن السكان العرب حيث قال أن أغلبهم ينتموا إلى جد واحد, وبالكاد يستطيع المرء أن يتكلم عن نوع عام عن العرب سكان عدن الأصليين, إذا لم يكن المرء يعني ذلك ما هو مشترك بين جميع الساميين, فإذا وضعنا شخصين أو ثلاثة أشخاص من طبقات مختلفة بجانب بعضهم البعض، وإذا قارنا مظهرهم، يصبح من الواضح لنا للوهلة الأولى أنهم لا ينتمون إلى أصل واحد, من بين العديد من التدرجات في هذه الأنواع المختلفة من العرب، هناك، على الأقل، ثلاث فئات رئيسية، والذي أسميه سكان المدينة، والبدو، والمنبوذين, ويمثل سكان المدينة الأصليين، جزئيا من عدن نفسها، وجزئيا من صنعاء، وتقريبا يمثلوا النمط العربي الأوسط, إن معالمهم ملحوظة للغاية ومقطعة بشكل حاد، وجوههم طويلة جدا وسامية، وأنوفهم في بعض الأحيان في نمو هائل ومعكوفة تشبه منقار النسر، بنية أطرافهم أقوى من بنية اليهود، ولديهم شعر قليل في الوجه، وبالكاد ينمو فقط على الذقن والشفة العليا، لديهم القليل من اللحية، وتعبير الوجوه ذكي، والعين صغيرة، وغالبا ما تكون عميقة، ودافئة دائما ومتألقة بنار متلألئة, الشفاه صغيرة، والأفواه ذات أبعاد ضئيل جداً, هم عموما نحاف، ونادرا مايكونوا بدينين,شعرهم طويل،

(١) Maltzan,Südarabien ص ٧٩
(٢) Maltzan,Südarabien ص ٢٥٨
(٣) Maltzan,Südarabien ص ٢٤٧
(٤) Maltzan,Südarabien ص ٣٤١

ولكن مجعد, وليس أكرد.

اللهجة: ذكر أن حرف القاف في عدن ينطق مثل G في كلمة (Good)[1], ويلاحظ أنه في جميع فصول الكتاب كان يذكر أسماء الأدوات والمواد والأماكن كما كان يسمعها باللغة العربية, مستخدماً الحروف الإنجليزية مركبة كما ينطقها الإنجليز, وكان دائماً يضيف شرح بسيط لهذه الكلمات وفي أي منطقة ذكرت.

البيوت: الأغنياء يسكنون بيوت كبيرة تشبه القلاع ومبنية بالحجر، بارتفاع ثلاثة أو أربعة طوابق، مع أبراج، وشرفات محصنة، وفتحات للطلقات. أما الناس العاديون، يسكنون أكواخ من القش أو جذوع النخيل.

زي الرجال: في جنوب الجزيرة العربية بشكل عام بالكاد يرتدون أي ملابس، لا شيء, حسب وصفه, باستثناء مئزر فضفاض كبير من الخصر إلى الركبتين، وعمامة صغيرة للرأس لونها أزرق او أبيض. في الحجرية يرتدي الرجال قميصاً ومشداً (شال) ويربط من جانب واحد بشكل فضفاض, ولونه أيضاً أزرق أو أبيض. في يافع العليا, في فصل الشتاء القارس البارد, يلتف الناس في جلود الحيوانات, وخاصة جلود الغنم, ويسمى "جرم". والكماليات الوحيدة هي أسلحتهم؛ البندقية الطويلة مع قرنيتين من بودرة البارود، والجنبية، وهو خنجر غني بالزخارف الفضية, وبعضهم يرتدي السيف المستقيم الذي يدعى "نمشا".

زي النساء: المرأة كانت ترتدي تنورة طويلة, في منطقة الضالع وما حولها, كن يرتدين قميص داكن وأقمشة حريرية غنية فوقها, وجميعهن لديهن شال، في الضالع وحولها يدعى "شيدر" Scheider (في عدن "شون" Chonne)[2]. ويتدلى قماش على الوجه كله على نحو سلس ودون ثغرات للعيون (كما هو الحال في عدن)، لكنه لا يمنعهن من رؤية الكثير. في الحجرية ترتدي النساء بنطال نيلي وقميصاً وحجاباً (يطلق عليه اسم "شايل"). في أرض الرصاص ترتدي النساء قميصاً وغطاءاً أزرق داكن، يغطين به وجوههن عندما يقابلن الرجال، بحيث تصبح عين واحدة فقط مرئية, ويعلق الشعر بعمق في الجبين. في لحج ترتدي النساء سراويل طويلة من القطن الملون، ذات عرض متوسط، تصل إلى الكاحلين ويربط فيهما, وهن محجبات بحجاب بسيط.

مواد التجميل: الحُسْن "Hösn" هو أحمر خدود, يستخدم في لحج. لتلوين الأظافر بالأسود كان يستخدم خليط من الشيدر والعطرون "Atrun ،Scheider" وغيرها من المكونات. ذكر هورود برتقالي

---

(١) Maltzan,Südarabien ص ١٧٧

(٢) Maltzan,Südarabien ص ٣٦٩

وهورود أصفر, مع هذا الأخير, الذي هو الأكثر شعبية, يتحول الجسم كله إلى اللون الأصفر، والذي هو جميل بشكل خاص. ولقد رأى في عدن نساء يهوديات مصبوغات بالأصفر, كن يخرجن دون حجاب.

الختان: إجباري في اليوم السابع من الولادة لكلا الجنسين وخصوصاً في المناطق الساحلية, لكن في الضالع ليس إجباري للإناث.

القهوة والقشر: سكان عدن المحليين ولحج وسكان المناطق الساحلية يشربوا القشر (Gischr) ولا يشربوا القهوة أبدا[١]. أما البدو في عدن والمناطق المرتفعة يشربون القهوة مع الحليب, وكتب :"حتى أنهم يعتقدون أن القهوة السوداء غير صحية وحمّية ، لذا فهم يستمتعون بالقهوة مع الحليب".

المأكولات الشعبية: الأكلة الشعبية الشائعة في جميع أنحاء جنوب شبه الجزيرة العربية هي الهريس، "Heris", مصنوعة من اللحم والزيت أو الزبدة ودقيق الذرة ، وهو نوع من عصيدة دقيق الذرة. الطبق المفضل في لحج هو "Baciffa"[٢] مصنوعة من العسل والزبدة والدقيق, وأحيانا يخلط مع اللحم. واللحم كان يستهلك "نوعا ما مشوي"، لأن أحد الأوجه لا يزال عادة ما يكون نيْ ، والوجه الآخر محترق عند تناوله.

القات: يجعل مضغ أوراق القات التي تنمو على جبل صبر في تعز، أو الضالع متعة في مجالس الأغنياء, وهو غالي جدا في لحج وبقية المناطق, ورخيص في الضالع. ويستهلك الرجل بسهولة لثالتين يوميا, إن تأثير مضغ هذه الأوراق ليس مخدراً، ولكن يعطي إسترخاء؛ أنه يجعل الشخص ثرثار وودي ومؤنس, وتكرس فترة ما بعد الظهر كله للقات. إذا لم يكن هناك قات يأتي من الجبال، يكون الناس في حالة بؤس والنوم كثيرا، ويكون المزاج سيء للغاية. وكان أحياناً يدمر عائلة, حيث الرجل الفقير الذي مصروف عائلته اليومي عانتين (قرشين ونصف), يحتاج ٤ عانات لكي يشتري قات, وسيحزن اذا لم يحصل عليه[٣].

---

(١) Maltzan,Südarabien ص ٣٤٦

(٢) Maltzan,Südarabien ص ٣٤٧, لم أجد ترجمة للإسم "Baciffa".

(٣) Maltzan,Südarabien ص ٣٧٠

ملحق

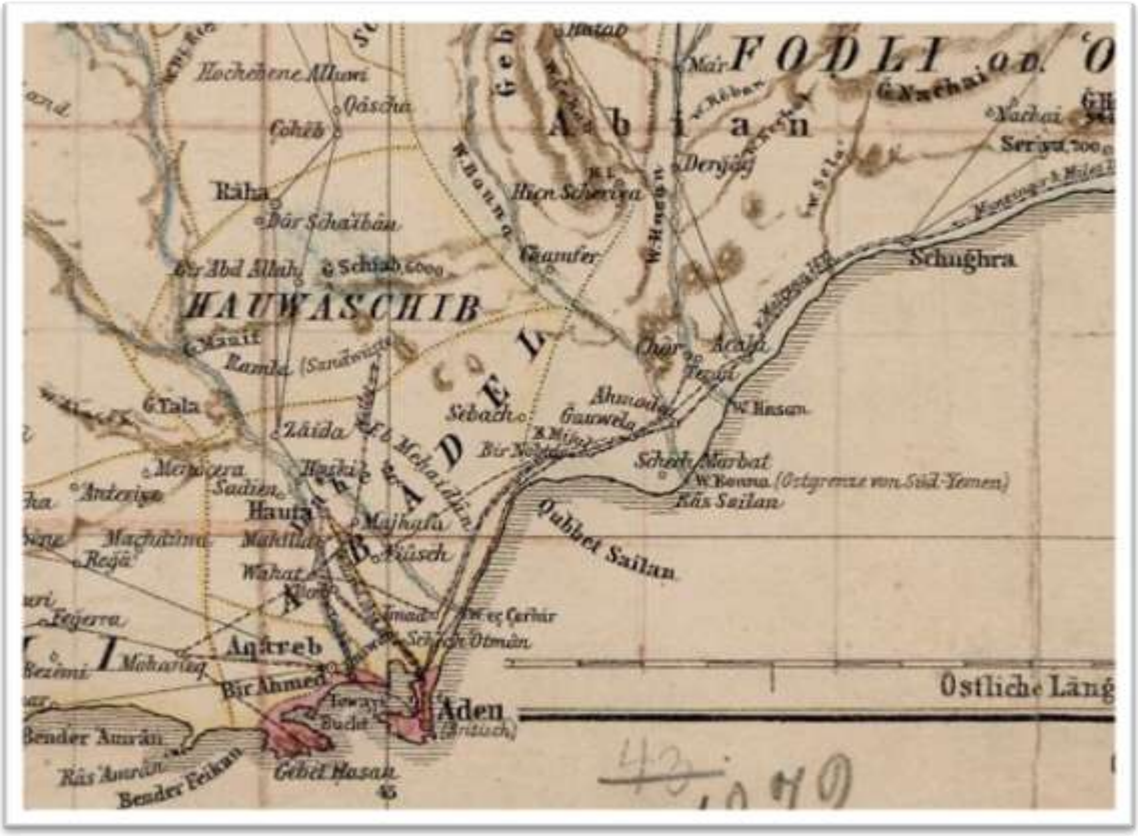
١- جدول بعدد السكان كما قدرهم سنة ١٨٧١م:

أعراق السكان	العدد
الأوروبيين و المسيحيين من شرق الهند (من ضمنهم الجنود)	٢,٠٠٠
المسلمين من شرق الهند (من ضمنهم السبوي)	٤,٠٠٠
العرب	٦,٠٠٠
الصومال	٥,٦٠٠
مسلمين آخرين	١٠٠
البانيان وغيرهم من الهنود الشرقيين (ضمنهم العديد من السبوي)	٨,٠٠٠
بارسيين	١٣٠
اليهود	١,٩٠٠
آخرين غير محددين	٢,٠٠٠
المجموع [١]	٢٩,٧٣٠

---

[١] Hunter, Aden, ص٩ عدد السكان حسب الإحصائيات سنة ١٨٧٢م كان ٢٢,٧٢٢ نسمة

٢- جزء من خريطة تشمل اليمن كامل نشرها مالتزان كملحق في كتابه توضح المسارات التي سلكها هو والرحالة من قبله. في هذا الجزء يظهر المسار الذي سلكه مالتزان, حيث أقصى مكان ذهب إليه غربا كان بلاد العقربي وعدن الصغرى, وشمالا الحوطة في لحج, وشرقا شقرة في بلاد الفضلي. الجزء المضلل بالأحمر هو الذي كان محتل من قبل الإنجليز سنة ١٨٧١م.



خاتمة

في الختام اقترح التالي:

١- تبني ترجمة كتب ومقالات مالتزان والرحالة الألمان عن جنوب شبه الجزيرة العربية, بتكليف مترجمين معتمدين ومراجعة من أخصائيين في التاريخ الحديث.

٢- الطريقة المستخدمة لجمع المعلومات والترجمة, التي ذكرت في المقدمة, نسبة دقتها تصل إلى ٨٥%, لذلك ورقة العمل هذه تعتبر تعريف لكتابات مالتزان عن عدن وجنوب الجزيرة العربية, ولا تعتبر بأي حال من الأحوال مصدر او مرجع عربي لكتابات مالتزان او عن عدن او جنوب الجزيرة العربية, ودائما يرجع للكتاب الأصلي او الترجمة المعتمدة.

المصادر والمراجع

المصادر:

١) Maltzan,Heinrich von, Reise nach Südarabien und geographische Forschungen in und über den südwestlichen Theil Arabiens, Braunschweig, ١٨٧٣

٢) von Friedrich Ratzel, "Maltzan, Heinrich von",Allgemeine Deutsche Biographieherausgegeben von der Historischen Kommission bei der Bayerischen Akademie der Wissenschaften, Band ٢٠،١٨٨٤,

٣) Wrede, Adolph von,Reise in Hadhramaut, Beled Beny 'Yssà und Beled el Hadschar,Hrsg. Heinrich Freiherr von Maltzan,Braunschweig,١٨٧٠

المراجع:

١) حفناوي بعلي ،صحراء الجزائر الكبرى:في الرحلات وظلال اللوحة وفي الكتابات الغربية,دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع,٢٠١٧,

٢) هاينرش فون مالتزان, ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا, ترجمة أبو العيد دودو, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر, ١٩٧٩

٣) هاينريش فون مالتزان ,رحلة حجي إلى مكة – رحلة إلى المناطق الساحلية والداخلية لبلاد الحجاز, ترجمة ريهام نبيل سالم, دار الحكمة لندن, ٢٠١٨

٤) هاينريش فون مالتزان, في رحاب طرابلس وتونس, ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ٢٠٠٨

٥) عالم المعرفة, المعتقدات الدينية لدى الشعوب,١٧٣, ذو القعدة ١٤١٣هـ

٦) Richard F. Burton, PERSONAL NARRATIVE OF A PILGRIMAGE TO AL-MADINAH AND MECCAH, LONDON: TYLSTON AND EDWARD, ١٨٩٣.

٧) Augustus Ralli,Christians at MECCA,London, William Heinemann,١٩٠٩

٨) Ulrike Freitag,Heinrich Freiherr von Maltzan's "My Pilgrimage to Mecca": A Critical Investigation,The Hajj and Europe in the Age of Empire,Umar Ryad (Editor),Leiden Studies in Islam and Society,Vol ٥،٢٠١٧,BRILL

٩) Maltzan, Heinrich von,Sittenbilder aus Tunis und Algerien,Leipzig,Dyk, ١٨٦٩

١٠) LE COMTE DE LANDBERG, ÉTUDES SUR LES DIALECTES DE L'ARABIE MÉRIDIONALE,DEUXIÈME VOLUME.DATINAH,E. J. BRILL. – LEIDE,١٩٠٩

١١) Hilprecht, H. V.,Explorations in Bible lands during the ١٩th century,Philadelphia Holman, ١٩٠٣

١٢) F.M.HUNTER,AN ACCOUNT OF THE BRITISH SETTLEMENT OF ADEN IN ARABIA,١٨٧٧

١٣) أ) Le Conte de LANDBERG,GLOSSAIRE DATINOIS, PREMIER - LIBRAIRIE ET IMPRIMERIE,CI-DEVANT,E. J. BRILL - Leide,١٩٢٠,(ذ

١٤) Ethelbert Blatter,Flora of Aden. Records of the Botanical Survey of India,Volume VII,Number ١,calcutta,١٩١٥
١٥) ALEXANDER VON HUMBOLDT UND CARL RITTER,VON LEOPOLD VON ORLICH,REISE IN OSTINDIEN, IN BRIEFEN AN, LEIPZIG,VERLAG VON MAYER UND WIGAND, ١٨٤٥
١٦) Proceedings of the Royal Geographical Society VOL. XVI.Session ١٨٧١- ٧٢.Mos. I. to V

١٧) موقع Alpha History https://alphahistory.com/pastpeculiar//١٩٤١-nazis-ban- /jewish-fonts
١٨) موقع قاموس كولينز https://www.collinsdictionary.com/translator
١٩) موقع مترجم جوجل https://translate.google.com /
٢٠) موقع أطلس المؤثورات الشعبية المصرية, ٢٠١٨/٢/٩, http://www.gocp.gov.eg/Atlas/atlas٠١/١٠.html